الجبهة الشعبية في داخل الارض المحتلة

الانتفاضة الباسلة التي عبرت بها جماهيرنا في الارض المحتلة عن رفضها القاطع والحازم لخيانة السادات في « كامب ديفيد » اكدت درجة عالية من الوعي السياسي الجماهيري للمعركة المصيرية التي يخوضها شعبنا ضد العدو الصهيوني الامبريالي الرجعي وكل اشكال مؤامراته و « مشاريعه » .

ان الرفض الجماهيري الثوري لمؤامرة « كامب ديفيد » بكل تفاصيلها وبشكل اخص مؤامرة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة من ارضنا المحتلة كان سباقا لموقف الكثيرين من قيادة منظمة التحرير الذين احتاجوا لوقت اطول في « دراسة » الاتفاق وما سينتج عنه من نتائج خاصة فيما يخص « الحكم الذاتي » واصبح من المعروف ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قد تأخرت ولاكثر من اسبوعين في اعلان موقفها الرافض لمؤامرة الحكم الذاتي . ولا نبالغ اذا قلنا ان الموقف الجماهيري الحاسم والصريح في رفض هذه المؤامرة قد عمل على حسم مواقف الكثيرين ممن لجأوا الى الموقف الانتظاري المتردد والذي وصل في بعض الحالات الى درجة التشكك من قدرة الجماهير في الارض المحتلة على تحديد موقف سليم وواضح من مشروع الحكم الذاتي والقدرة على تحمل تبعات هذا الموقف .

الا ان جواب الجماهير كان اسرع ، وأقوى من تقديرات هذا البعض .

ان هذه الوقفة الشجاعة والمبادرة من جماهير شعبنا في الارض المحتلة، تطرح من جديد اهمية الوعي السياسي الجماهيري باعتباره شرطا اساسيا من شروط المواجهة الشعبية الشاملة في حربنا الثورية ضد العدو بكل اطرافه ومهما تنوعت اشكال مشاريعه وخططه .

والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهي تدخل عامها الثاني عشر تستطيع ان تسجل باعتزاز انها ومنذ بداية انطلاقتها الجديدة بعد هزيمة الخامس من حزيران قد لعبت دورا اساسيا في الربط بين المواجهة المسلحة للاحتلال واهمية الوعي السياسي الذي يمكن جماهيرنا وقواها الطليعية من السير بثبات في معركتها ضد العدو الامبريالي الصهيوني الرجعي حتى تحقيق الانتصار .

« ان شرطا اساسيا من شروط النجاح هو الرؤية الواضحة للامور ، والرؤية الواضحة للعدو والرؤية الواضحة لقوى الثورة ... ان الفكر السياسي الثوري هو الذي يفسر لجماهير شعبنا اسباب فشلها حتى الان في مواجهة العدو لماذا فشلت ثورتها المسلحة عام ١٩٣٦ ؟ لماذا فشلت محاولاتها قبل ١٩٣٦ ؟ لماذا حصلت هزيمة حزيران ١٩٦٧ ؟ وما هي حقيقة التحالف الذي تخوض ضده معركتها ؟ ومن خلال اي تحالف تستطيع ان تجابه وبأي اسلوب » ؟

بهذا التحديد وهذه الرؤية مارست الجبهة الشعبية نضالاتها داخل الارض المحتلة ، عاملة على وضع السياسات والبرامج الكفيلة بمواجهة سياسات العدو وبراجحه ، والتي استطاعت اكثر من مرة ان تحبط مخططات العدو بالرغم من الميل الكبير في ميزان القوى لصالح المحتل . كان السلاح الحاسم المبادرة الثورية للجبهة داخل الارض المحتلة معتمدة اساسا على الالتفاف الجماهيري المستند لوعي جماهيري عام قائم على الوضوح السياسي في برامج الجبهة ومواقفها .

منذ الايام الاولى التي تلت هزيمة الخامس من حزيران بدأ الاقليم الفلسطيني في حركة القوميين العرب الاتصال بالقوى والشخصيات الوطنية في قطاع غزة من اجل تأسيس الجبهة التي تضم كل القوى والطاقات الوطنية في القطاع لتتحمل مسؤولية التصدي للاحتلال بكل اشكال التصدي وفي مقدمتها الكفاح المسلح . وهكذا اعلن عن تأسيس « طلائع المقاومة الشعبية في القطاع » ان الاهمية الخاصة لهذه الخطوة تتمثل في :

١ - وسط الذهول العام الذي ولدته هزيمة الخامس من حزيران الذي جعل العديد من القوى والمنظمات الفلسطينية والعربية تقف مشدوهة امام الهزيمة ، كمن تلقى على رأسه ضربة ثقيلة افقدته توازنه وقدرته على وعي الواقع وبالتالي اسلوب مواجهته .

كانت المبادرة الرائدة لطلائع المقاومة الشعبية (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فيما بعد) بحمل السلاح والبدء في قتال العدو « الاسرائيلي » وقوات احتلاله .

٢ - كانت هذه البداية تجسيدا حيا لفكرة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة للاحتلال ، اذ بالرغم من امتلاك تنظيم الحركة يومها القدرة المادية والبشرية والتنظيمية التي تستطيع بها ان تبدأ طريق الكفاح في القطاع ، لكنها عملت على جمع كل القوى والشخصيات الوطنية المستعدة للمواجهة ، كطريق لجميع طاقات الشعب كلها وتوظيفها في المعركة ضد العدو « الاسرائيلي » ، دون التقليل من اهمية التنظيم الطليعي داخل هذا اللقاء الجبهوي العام .

وفي الضفة الغربية ، وبنفس المستوى من المبادرة عملت الحركة على اعادة بناء الاطر التنظيمية التي كانت قد تعرضت مع باقي القوى والاحزاب الوطنية في الاردن في الضربة الشهيرة التي نظمها نظام عمان للحركة الوطنية في العام ١٩٦٦ ، وفي نفس الوقت بدأت مجموعات من الكوادر القيادية تترك مواقع عملها وتدخل الى الضفة الغربية وقطاع غزة لتعمل على تعزيز وتسريع بناء الاداة التنظيمية القادرة على تشكيل نواة صلبة وسليمة للمواجهة المستمرة مع العدو ، وعلى هذا الطريق عادت للانخراط الفاعل والقيادي في صفوف الجماهير وعلى ارض الوطن اسماء من طراز تيسير قبعة، احمد خليفة، اسعد عبدالرحمن .. آلى اخر هذه السلسلة من الاسماء التي عرفتها جماهيرنا في الارض المحتلة وعرفها الرفاق المناضلون من كل فصائل الثورة داخل معتقلات العدو « الاسرائيلي » .

لقد كان واضحا للجبهة ان معركتنا مع العدو «الاسرائيلي» معركة طويلة قاسية تتطلب حشد كل طاقات شعبنا الوطنية وزجها في معركة مستمرة مع العدو ، وهذا يتطلب تحديدا مجموعة من الشروط التي تضمن استمرار الكفاح وتصعيده وصولا الى حرب الشعب كله القادرة على تحقيق الانتصار . هذه الشروط هي :

١ - بناء الحزب الثوري استند الى نظرية ثورية تشكل سلاح هذا الحزب في فهم طبيعة العدو وطبيعة المعركة التي تخوضها جماهيرنا في مواجهته .

واليوم وبعد احد عشرة سنة من الكفاح المتصل ضد العدو باطرافه المتعددة : الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية ، يكتسب هذا العنوان اهمية فائقة ، خاصة اذا اعدنا الى اذهاننا الاطروحات البرجوازية واليمينية التي حاولت بعض القوى تكريسها في الساحة الفلسطينية ، هذه الاطروحات التي كان جل همها محاربة الحزبية وفكرة التنظيم من اساسها ضمن مقولات يمينية ابسط ما كانت تتصف به السذاجة والسطحية في فهم شروط الانتصار هذا ، اذا لم نقل انها كانت تستهدف خدمة تيارات معينة داخل صفوف العمل الوطني الفلسطيني بغض النظر عن مدى تعارض مصالح واهداف هذه التيارات مع مصلحة جماهيرنا وكفاحها الوطني .

ان اليمين الوطني الفلسطيني وبالرغم من مشاركته في النضال ضد العدو المحتل كان ولا يزال يرى ان اخطر ما يواجهه في الساحة الفلسطينية هو فكرة التنظيم بما تعنيه من اطلاق لطاقات طلائع شعبنا يستند الى ارضية نظرية صلبة وثورية تعمل على فرملة هذا اليمين اولا وتقييد حركته ضمن

ة ونضال شعبنا في داخل الارض المحتلة

ضوابط تنظيمية صارمة تمنعه من التصرف في القرار الفلسطيني على طريقته هو اي اليمين ثانيا ، ثم محاصرته وتجاوزه ثالثا . لهذا كانت حملة التصدي الدائمة من هذا اليمين لفكرة التنظيم . اما « السلاح » الذي اشهره هذا اليمين في وجه النظرية فهو ذلك السلاح الذي تثلم وبطل مفعوله منذ فترة من الزمن والذي ما فتئت تشهره قوى وانظمة سقطت فعلا او سقط دورها التاريخي من الزاوية السياسية والذي كان يعتمد على عناوين من نوع الافكار المستوردة ، الابتعاد عن الخلافات العقائدية في الساحة الفلسطينية التي لا تخدم معركتنا وهي بهذا الوضوح الذي يتمثل في الاجماع على محاربة العدو ، ... الخ .

اننا وبعد هذه الفترة الطويلة نسبيا من عمر ثورتنا نستطيع القول ان افكار اليمين هذه في ممارسة الحزب والنظرية الثورية قد الحقت بها الهزيمة النظرية والسياسية الكاملة واصبح الوعي الاجتماعي العام بين صفوف جماهيرنا منحازا الى اهمية الحزب واهمية النظرية كشروط اساسيه لحشد طاقات الشعب وقواه الوطنية وقيادتها حتى النصر .

٣ - الجبهة الوطنية الفلسطينية التي اعتاد الناس الحديث عنها تحت عنوان الوحدة الوطنية ، هذا الشعار الذي تعرض للتشويه والتحريف كثيرا على ايدي البعض في الساحة الفلسطينية ، فقد بدأ البعض في التعاطي مع هذا الشعار من ارضية انعدام التمايز الطبقي في الساحة الفلسطينية وما يعنيه هذا استطرادا من انعدام الاساس الموضوعي لوجود كثر من تنظيم في الساحة لفلسطينية ان هذا التفكير اوصل اصحابه في فترة من الفترات الى ضرورة التصدي بالقوة لمنظمات المقاومة « لتنصهر » جميعا في تنظيم واحد يقود نضالات الشعب ، وعندما ثبت لاصحاب هذا الرأي عجزهم المادي وعدم قدرتهم على تحقيقه ، بدأوا في طرح مجموعة من السياسات « الوحدوية » توصل الى نفس هدفهم الاندماجي السابق ، لكن هذه المرة تحت مفاهيم العمود الفقري الذي وصل في بعض الاحيان الى عدم الاكتفاء بالعامود الفقري بل اضيف اليه الجسد بعد ذلك ، ثم المطالبة بالوحدة وبأي ثمن وشكل دون الاستعداد لوضع اي برنامج سياسي او تنظيمي لهذه الوحدة ، تحت شعار تعالوا نتحد ثم بعد ذلك نبدأ في البحث عن البرامج .

لم يكن خافيا السبب الحقيقي وراء مثل هذه الدعوات التي يبدو ظاهرها تعاملا رومانسيا يعشق الوحدة ، وحقيقتها تتمثل في انهاء دور الاخرين . والاستفراد بالقرار الكلي في الساحة الفلسطينية مستفيدا هذا الفريق من مجموعة من الظروف الموضوعية وابرزها الوضع العربي العام وما يوفره من نتائج تصب لمصلحة هذا الفريق واستفراده في شؤون قضايا الشعب الوطنية في هذه الساحة ، لكنه يقدم مجموعة من التساهلات تصل احيانا الى حدود التنازل عن قضايا مبدئية - هذا ما يقوله هذا الفريق - لمصلحة الوحدة الوطنية لما تشكله من اهمية فائقة لتحقيق شروط الانتصار . والنتيجة استفادة الفريق الاول من هذه التساهلات والتنازلات عن المبادىء وتوظيفها من اجل تعزيز فهمه وممارسته الاحتوائية الاستفرادية الخاصة في عموم الساحة الفلسطينية .

كيف تعاملت الجبهة مع موضوع الوحدة الوطنية ؟

تقول الجبهة في مهمات المرحلة الجديدة :

« اذا كان من المسلم به علميا انه لا ثورة دون حزب ثوري ... فان التجارب التاريخية قد اكدت ايضا بنفس القوة ان الجبهة الوطنية هي اداة استراتيجية اساسية ضرورية لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . وهذا الخط الاستراتيجي الاساسي هو الذي يضمن تعبئة وتنظيم اكبر قطاعات الجماهير واكثرية الطبقات ذات المهمات الثورية في مرحلة من المراحل ويهيء الميدان لانخراط اكبر عدد ممكن من البشر في المعركة الوطنية ، بصورة يتحقق معها النصر » .

لا يستطيع احد ان ينكر ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد انطلقت بعد هزيمة الخامس من حزيران انطلاقة وحدوية ضمت اكثر من فصل من الفصائل التي كانت عاملة على الساحة الفلسطينية قبل الخامس من حزيران؛ اذ ضمت شباب الثأر ، ابطال العودة ، جبهة التحرير الفلسطينية وانضم الى هذه الاطراف بعد ذلك ما سموا بالمستقلين ، هذه البداية يمكن ان تشكل ردا حازما ينتصب امام كل من يحاول التشكيك في صدق توجه الجبهة الصادق والمخلص نحو الوحدة الوطنية في الساحة الفلسطينية ، وكل الانشقاقات التي واجهتها الجبهة كانت تأتي من الاطراف الاخرى اذا سلمنا بان الجبهةالشعبية لتحرير فلسطين في حالتها الراهنة هي الامتداد المتطور والنامي لمنظمة شباب الثأر ، وفي مواجهة كل خطوات ومشاريع الوحدة الوطنية التي طرحت كان موقف الجبهة المبدئي والثابت ان الوحدة الوطنية لا تتحقق الا بتحقيق شرطين اساسيين :

أ - البرنامج السياسي الوطني الذي يشكل اساسا للقاء مجموعة من القوى ذات البرامج السياسية المختلفة الممثلة اساسا لمجموعة من المواقع الطبقية المختلفة لهذه القوى ، هذا البرنامج الذي يشكل اساسا للنضال المشترك من جهة ومن جهة اخرى اساسا للمراقبة والمحاسبة الجماهيرية لمسيرة الثورة بمختلف فصائلها .

ب - الاسس الواضحة في العلاقات التنظيمية بين اطراف هذه الوحدة الوطنية ، حتى لا ينفرد فصيل او اكثر في تقرير قضايا النضال الوطني الفلسطيني مهما كانت اسس ومبررات هذا الانفراد ، وحتى تشكل هذه الاسس في العلاقات التنظيمية ضمانات الضبط والمحاسبة لاي خروج على البرنامج السياسي المشترك .

وظلت الجبهة تناضل على ارضية هذا الفهم احيانا من خارج الاطر القيادية لمنظمة التحرير ، واحيانا اخرى من داخلها سواء في مرحلة ما قبل ايلول عندما كانت الساحة الفلسطينية تفتقر الى البرنامج المشترك - باستثناء صيغة القيادة الموحدة في العام ١٩٧٠ - او بعد ايلول عندما تم الاتفاق على برنامج سياسي مشترك للعمل في الساحة الفلسطينية .

وفي مرحلة ما بعد حرب تشرين ١٩٧٣ عندما شعرت الجبهة ان البرنامج الذي اقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشر وممارسات قيادة منظمة التحرير بعد ذلك لا تنسجم والحد الادنى المطلوب توفره في البرنامج السياسي المشترك لم تتردد الجبهة في الانسحاب من الاطر القيادية للمنظمة وممارسة النضال مع قواعد كل منظمات المقاومة والمنظمات الشعبية الفلسطينية واستمرار النضال من اجل تحقيق الحد الادنى الوطني كأرضية للوحدة الوطنية الفلسطينية ، الى ان تم الاتفاق على وثيقة طرابلس باعتبارها هذا الحد .

بعد اتفاق « كامب ديفيد » وعلى ارضية وثيقة طرابلس الوحدوية شاركت الجبهة في الخطوات التوحيدية على ارضية الوصول الى برنامج مشترك ، وعلى الرغم من تحفظ الجبهة المبدئي على موضوع اللقاء مع النظام العميل في عمان فقد وافقت الجبهة وشاركت بفعالية في صياغة البرنامج السياسي التوحيدي المشترك ، باعتباره حدا ادنى للمواجهة الوطنية الفلسطينية